إحساسهم ، ولا يزال مهما بلغ من سمو منزلته واتساع ثقافته ، قادراً أن يشاركهم عواطفهم وألا يضيق بأحلامهم وإن صغرت حتى يتلمس فيها السبيل إلى هديهم وشفاء أنفسهم ؟ وأى هذين الرجلين ينطبق ذلك عليه ؟ أهو دوجلاس الذى أثرى بغتة بحيلة لم تتطلب منه إلا أن يشترى قطعاً من الأرض بأبخس الأثمان ثم يعمل بنفوذه على أن تتخذ سكة الحديد فيها مجراها فيبيعها بما تمتلئ به خزانته ؟ والذي باعد بينه وبين الناس وتكلف مظهراً أرستقراطياً تطرب له نفسه ولا ترتاح إلا له ؟ أم هو لنكولن الذى ما برح يأكل من كده والذى ظل فى الناس على رجاحة عقله وعلو همته أحد الناس ، والذى لا يطيب له العيش إلا إذا استشعرت نفسه آمال الناس وآلامهم ، ولا يحلو له السمر إلا حيث يجلس فى قوم ارتفعت بينهم وبينه الكلفة وازدادت الألفة مهما يكن من الفوارق العلمية أو الفوارق المدنية ؟...

تحدث ابراهام مرة يصف دوجلاس فقال : لقد سوته الطبيعة بحيث أن ضربة السوط إذا نزلت على ظهره هو تؤلمه وتؤذيه ، بينما هى لا تؤلم ولا تؤذى إذا نزلت على ظهر أى شخص سواه » ؛ وما كان ابراهام مسرفاً فى قوله ؛ وما نحن بمسرفين إذا قلنا إن إبراهام قد سوته الطبيعة بحيث يحس ضربة السوط على ظهره هو إذا نزلت على ظهر أحد سواه من الناس ...

« يتبع » الخفيف

سندباد عصرى

فى سفينة مصرية

رددت أخبارها صحف العالمين

الانسانية فى شتى مظاهرها تطالعك من صفحات

سندباد عصرى

بقلم

حسين فوزى

١٢ قرشاً أطلبه اليوم من المكاتب ١٢ قرشاً

الأنبـــاط

وأطلال بترا الخالدة

للأستاذ خليل جمعة الطوال

— ٣ —

معبد إزيس

وينتهى السبق أمام معبد عظيم هو فى الحقيقة أجل وأخلد ما فى الشرق الأدنى من الآثار النبطية الرومانية الرائعة . وقد حفر — معبد إزيس — قبيل الفتح الرومانى (بقرن ونصف القرن

شكل ٢
معبد إزيس أو خزنة فرعون

(شكل ٢ معبد إزيس)

تقريباً) أي بين عام ٥٠ ق . م . و ٥٠ ب . م . وقد كانت بترا إبان ذلك فى أوج عظمتها . يبلغ علو هذا المعبد (٢٦) متراً ويتركب من طبقتين (انظر الصورة شكل ٢) أما الطبقة السفلى

فتتألف من ستة أعمدة رملية ضخمة متوجة بالتيجان الأغريقية الشكل ، ومن فوقها جميعاً قوس رومانى مثلث غاية فى الرونق ، والزخرفة ، ويقوم المعبد فى وسط هذه الأعمدة الهائلة وهو بهو واسع كان يجتمع فيه المتعبدون لإقامة شعائرهم الدينية وإحراق البخور فى المجامر الحجرية المحفورة على جدرانه الأربعة ، وإلى جانبه غرفتان كبيرتان ، وهما للتعبد فى الأيام العادية

أما الطبقة العليا فتتألف من ثلاثة هياكل رائعة ، تقوم بين أعمدة رملية بديعة ، متوجة بالأقواس الرومانية المثلثة ، ويدعى الهيكل الأوسط بمزار إيزيس ، ولا يزال تمثال إيزيس قائماً فى وسطه برونقه وبهائه ، وتتوج هذا الهيكل قبة مخروطية الشكل يبلغ علوها ثلاثة أمتار ، ويسميها البدو قبة فرعون ، أو خزنة فرعون ، وهم يعتقدون أن فرعون قد وضع تحتها كنزاً ثميناً ، ولذلك فقد شوهوا جمالها بما أطلقوه عليها من الرصاص طمعاً فى الحصول على هـذا الكنز الموهوم ، بهدمهـا وتحطيمها . ويشتمل القسم العلوي أيضاً على تمثالين آخرين يحيطان بتمثال إيزيس من اليمين والشمال . ومما يدعو إلى الدهشة حقاً محافظة هذا المعبد بتماثيله وأعمدته على رونقه وبهائه طيلة هذه الأحقاب بالرغم من تعرضه لعوامل الطبيعة الهدامة ، ولعبث البدو السذج

الملهى الكبير

ويقع فى الجهة الغربية من معبد إيزيس — أو الخزنة — وعلى مسافة قصيرة منه ، وهو مدرج كبير يحتوى على (٣٤) صفاً مستديراً ، ويتسع لنحو ثلاثة آلاف متفرج . وقد حفر فى الصخر الرملى الملون حفراً متقناً فى المدة التى تقع بين ٤٠ق.م و ٤٠ ب . م . وهو من الآثار الرومانية المديدة . ويقال إن هذا المدرج كان كسوق عكاظ لا يؤمونه إلا فى المواسم الخاصة به

أم الصناديق

تقع فى الجهة المقابلة (للملهى الكبير) وهي قبور هائلة الحجم محفورة فى جبل رملى كبير على شكل مساكن تتألف من ثلاث طبقات (انظر شكل ٣) عالية تتمثل فيها جميع تطورات الفن البيزنطى العربى ، وذلك باختلاف أعمدتهـا ، ونسق ترتيبها ، وطريقة حفرها ، إذ فيها البسيط المتين ، والعظيم الرائع ، ويتصل بعضها ببعض بمدارج صغيرة متعددة ، وإلى الجهة الشمالية من أم الصناديق مدرج صغير آخر كان يجتمع فيه النـاس عند

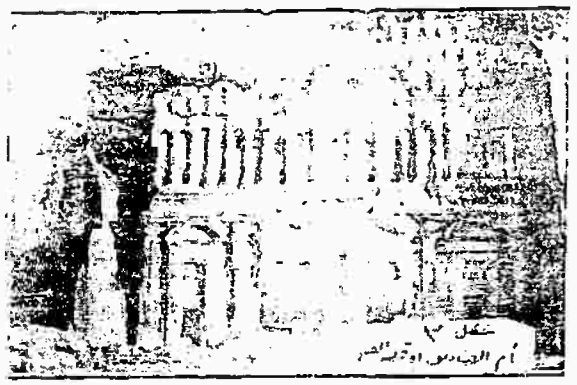

(شكل ٣ أم الصناديق)

حدوث وفاة أو جنازة . وفى أم الصناديق نقوش ورسوم كثيرة يمثل أحدها فتاة مستلقية على سريرها

قبر التماثيل

وهو بناية هائلة ، يبلغ علوها تسعة عشر متراً ، تحيط بهـا أربع أعمدة كبيرة ، وفى واجهتها بين الأعمدة ثلاثة تماثيل كبيرة ويقال إن هذا الهيكل الفخم ، (وأم التركمانية) التى تقع فى طريق الدير هما من القبور الخاصة بالعائلات الملكية والأرستقراطية . ويؤيد هذا النقوش النبطية الكثيرة المحفورة على عتبة التركمانية حفراً بارزاً . (شكل ٤) . ومن القبور العظيمة : (قبور السريان ، وأم الصباغ ، والسرايا ، والمدحلة) وسنأتى على وصفها جميعها فى مقال آخر

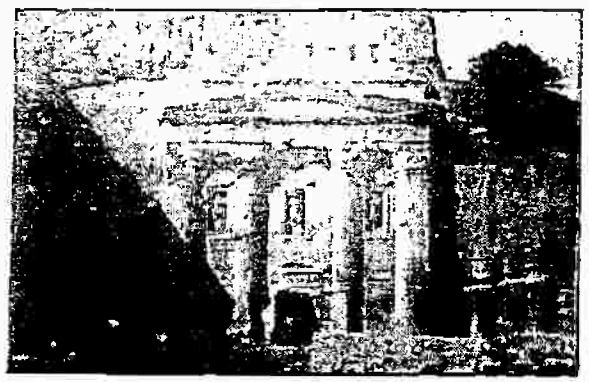

(شكل ٤ قبر التماثيل)

قصر فرعون (قصر البنت)

ويقع فى وسط الساحة الرومانية العامة (الندوة) ويمتـاز عن غيره من الآثار بأنه مبنى من الحجارة الكبيرة وليس محفوراً

فى الصخور كثيره ، يبلغ علوه ٢٠ متراً . وقد تداعت أكثر جدرانه ؛ ويوجد فى وسطه أريكة حجرية ، ومقاعد صغيرة كثيرة ، وله مدخل كبير واسع تحيط به بعض شجيرات من العرعر . ويقابل هذا القصر مسلتان طويلتان : الأولى على بعد ٣٠ متراً منه ، وتعرف بمسلة فرعون ، وهى تتألف من تسعة أعمدة ، طول العمود الواحد نحو ثلاثة أمتار تقريباً . والثانية على بعد كيلو متر واحد من الأولى ، وهى أطول منها وأضخم ، وتدعى (مسلة النصارى) . والراجح أن هذه التسمية قد أطلقت عليها خلال عام ٤٦٠ ب . م . فى زمن أحد مطارنة اليونان ، كما تدل على ذلك الكتابات والنقوش التى عليها (شكل ٥)

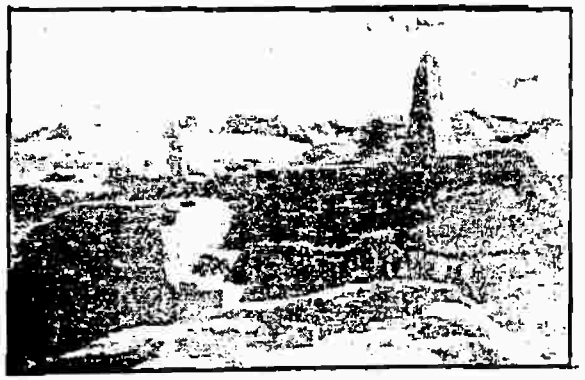

(شكل ٥ قصر فرعون (قصر البنت)

السيق البارد

وهو محطة صغيرة للقوافل النبطية التى تروح وتغدو من الشمال ، تقع بين جبل البيدا وثغره ، وقد عثر الدكتور نيلسون فى هذا السيق على مخطوطات مجرية ذات قيمة فنية فى تاريخ الديانة النبطية ، إلا أنها — مع الأسف — قد نقلت إلى أوربا فيما نقل من آثار شرق الأردن الثمينة

المذبح الكبير

وهو من أماكن العبادة الرئيسية يقوم على جبل يبلغ علوه ١٥٠ متراً ، ويصعد إليه بمدرج طويل يزيد على ٢٥٠ درجة . وهو عبارة عن حضيض محفور فى قمة الجبل المنبسطة ، عمقه قدم واحد ، وطوله ثمانية أمتار ، وعرضه ستة أمتار ، وتقوم فى وسطه حجرة نائزة كانت هيكلاً للإله (ديشورة) ، ويقع المذبح فى الجهة الجنوبية من هذا الحضيض ، وهو مستدير الشكل ، وفى وسطه جرن صغير يتجمع فيه دم الذبيحة ويسيل فى قناة صغيرة ضيقة حتى الهيكل . وقد كان الناس يجتمعون على قمة هذا المذبح

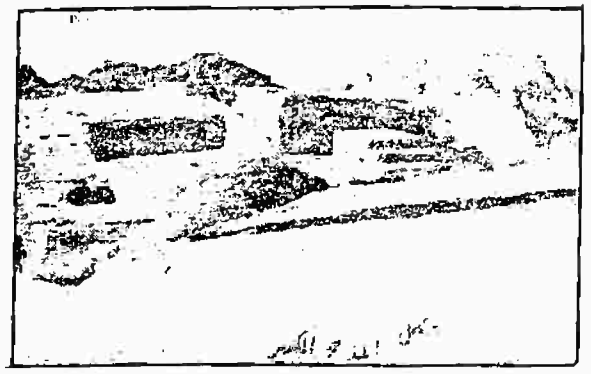

(شكل ٦ المذبح الكبير)

مرة فى كل عام ، يقدمون قرابينهم وضحاياهم للآله ديشورة ويتلون أمامه صلواتهم وأدعيتهم الكثيرة ، وذلك فى طقوس وترتيبات عبادية خاصة

معبد الدير

ويقع فى أقصى الآثار من الجهة الشمالية ، وهو أعظم أطلال بترا روعة وبهاء ، ودقة وجمالا ، وضخامة وعلواً ، حفر خلال القرن الواقع بين ٥٠ ق . م . و٥٠ ب.م يبلغ علوه (٤٠) متراً ، وعرضه (٥٠) متراً . وهو يتألف من ثلاثة أقسام هى : البهو ، والهياكل ، والقبة ، (انظر شكل ٧) ، أما البهو فيقع فى القسم السفلى منه ، طوله (١٠) أمتار ، وعرضه (١٢) متراً ، وارتفاعه (١٤) متراً ، وتزين وجهه الأمامية ثمانية أعمدة إغريقية التيجان ، ضخمة الشكل ، يربط بعضها ببعض أقواس جميلة ، تقوم بينها طائفة من التماثيل المشوهة ، وفوق البهو (الكنيسة) الهياكل الثلاثة وهى تشبه هياكل معبد إيزيس إلاّ أنها أكبر منها حجماً أما القبة فتتوج الهيكل الأوسط منها ، وهى تتألف من قسمين يبلغ علوهما معاً تسعة أمتار ، ومحراب يناهز هذا العلو أيضاً . وتتسع مساحة القسم الأسفل من القبة لنحو (٥٠) رجلا أو أكثر . وهى ما تزال مشمخرة فى الفضاء ، ساخرة من عبث الأقدار وكر الحوادث الكبار .

أساطير طريفة

يسكن بترا فريق — عشيرة — من البدو ، وقد سلمت إليهم يد الدهر والأقدار أطلال حضارة عريقة ، لا عهد لهم بمرئياتها ،

ولا طاقة لهم على تقليدها ؛ فاختلفوا فى تعليل تلك القوة الخفية التى شيدت ذلك البنيان العظيم الذى يعجزون عن تقليده ، واختلفوا أيضاً فى تعليل مصدر تلك القوة الهائلة ، فذهبوا لذلك يحيكون حولها مختلف القصص والأساطير ، بالشكل الذى يمليه عليهم خيالهم وتصورهم ، وبالكيفية التى توائم أذواقهم ومشاربهم فقالوا فى موضوع المسلتين :

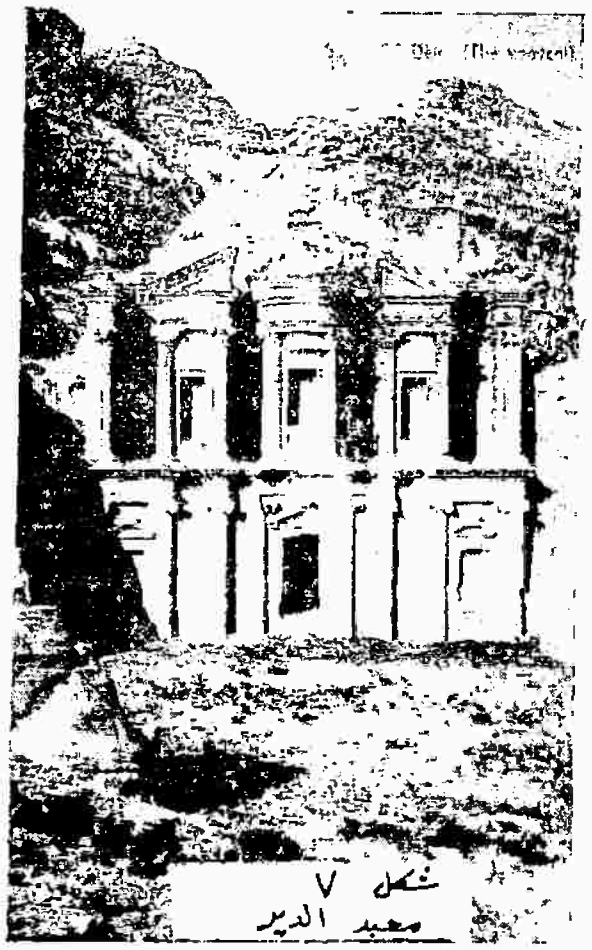

شكل ٧
معبد الدير

(شكل ٧ معبد الدير)

« لقد كان لفرعون زوجتان ، وقد خرجتا ذات يوم بطفليهما إلى الجبل المقابل للملهى ، وحدث أن استهانتا بنعمة الله الكبرى على الانسان ، إذ أنهما مسحتا غائط ولديهما بكسرة من الخبز ، فعاقبهما الله بأن حولهما إلى مسلتين حجريتين.

أسطورة قصر فرعون

حدثنى أحدهم ، قال : « كان لفرعون بنت بلغت سن الزواج ، وقد حظر عليها والدها الخروج من القصر ؛ وفى ذات يوم أجمعت أمرها على أن تتزوج من الشخص الذى يستطيع أن يجر إلى قصرها ماء أحد الينابيع . فقام لهذه الغاية شخصان ، وتمكن كل منهما من جر ماء أحد الينابيع إلى قصرها فى وقت واحد ويوم واحد . فسألت الأول : كيف تمكنت من جر الماء إلى قصرى فى مثل هذه المدة القصيرة ؟ فأجاب : بقوتى وبقوة بطانتى وعشيرتى ؛ ثم سألت الثانى . فأجاب : بعون الله الذي عضدني وعضد رجالى وجمالي ؛ فسرت من جوابه ، ودهشت لثقته بعون الله ، وتزوجته . وفيما هى تفكر لتجمع عزيمتها على الزواج من أحدهما سقط جناح فراشة فى قناة الرجل الأول ، فتعطل الماء فيها عن الجريان ، ولم يستطع أحد أن يرجع الماء إلى مجراه ، فتيقنت الأميرة أن الله قد قدر هذه الأعجوبة لتكون برهاناً لها على حسن اختيارها للرجل الثانى »

* * *

تلكم هى آثارنا ، وذلكم هو تاريخنا ، تشهد بعظمته هذه الأطلال الخالدة التى شدناها ، وليس عاراً على من أهدى إلى المدنية هذه الثروة الكبرى ، وأسدى إلى الانسانية مثل هذه الخدمات الجلى ليس عاراً عليه أن يستريح ريثما يستجم يسترجع نشاطه ، فيعيدها كرة عربية ، وصرخة عالية تعيد إلى هذه الأطلال نطقها وماضيها

(شرق الأردن) *خليل محمد الطوال*

مؤلفـــات
الأستاذ محمد كامل حجاج

ص
٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب الفرنسى والانكليزى والألمانى والايطالى مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات فى الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان تمثيليتان)
١٨ نباتات الزينة العشبية (محلى باحدى وتسعين صورة فنية)
١٥ Les Plantes Herbacées (محلى بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثانى فى جميع المكاتب الشهيرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا